

خبط أوراق وانتكاسة في العلاقات الأميركية . الأوروبية أفغانستان في ظل حكم طالبان: أي مستقبل ومصير!

ما بعد الانسحاب الأميركي من أفغانستان ليس مثل ما قبله. الانسحاب قرار استراتيجي وضع حدا لحقبة التدخل الأميركي واطول حرب تخوضها أميركا في الخارج، لكنه فتح الباب امام اوضاع جديدة في العالم وخط الأوراق الدولية، ودفع بالدول المعنية الى مراجعة حساباتها وعلاقتها

الانسحاب الأميركي من أفغانستان قرار استراتيجي اتخذته الولايات المتحدة عن سابق تصور وتصميم، وربما تأخرت كثيرا في اتخاذه، إذ لم يكن من داع ومبرر لبقائها عشرين عاما. ورغم الحملة ألسعواء والانتقادات التي انهالت على الرئيس جو بايدن وادارته داخل الولايات المتحدة وخارجها، فإن الرئيس الأميركي لا يعبر عن ندم او شعور بأنه ارتكب خطأ عندما اتخذ قرار الانسحاب، وان كان يشعر بالاحراج بازاء طريقة الانسحاب. في الواقع، ان القرار الأميركي لم يكن متسرا وانما جاء مدروسا ومتأنيا، وربما متأخرا ايضا. فبدل السؤال لماذا تنسحب أميركا من أفغانستان، وهل يعقل ان تنسحب! فإن السؤال الاصح: لماذا لا تنسحب ولماذا تأخرت أميركا في

انسحابها من أفغانستان مع وجود اسباب وعوامل دافعة ابرزها:
- فشل المقاربة الأميركية للحل وتخبطها ووصولها الى طريق مسدود، بعد ان كانت تقوم على اساس الحسم والحل العسكري والانحياز الى طرف دون آخر.
- اعادة التوضع على ساحة المواجهة العالمية وتركيز الجهود والاهتمام على مواجهة الصين وروسيا، والعودة الى الاتفاق النووي مع ايران.

- ارتفاع تكلفة الحرب المادية والبشرية، وحيث اثبت الوجود العسكري في أفغانستان انه غير قادر على حل الصراع وتغيير الوضع السياسي فيها، واصبحت المشاركة العسكرية للولايات المتحدة في أفغانستان عبئا على

ادارة بايدن، فارادت ايقاف نزييف الخسائر الأميركية هناك (مقتل 2448 جنديا أميركيا، وخسارة نحو تريليوني دولار، ومقتل نحو 38 الف مدني افغاني).
- انتهاء الحرب في أفغانستان حظي بشعبية كاسحة ونادرة في أميركا اليوم، التي تعاني من شتى انواع الانقسامات السياسية والاجتماعية حول كل القضايا تقريبا.
الى جانب شبه الاجماع الشعبي، يحظى قرار الانسحاب الأميركي من أفغانستان بقبول لدى عموم النخبة السياسية في واشنطن. ويعد قرار الانسحاب من السياسات النادرة التي واظب عليها بايدن ومن السياسات الموروثة عن سلفه الرئيس دونالد ترامب الذي لم يجد ما ينتقده في قرار الانسحاب الا الطريقة التي تم فيها.

- الاولوية الأميركية في مواجهة الارهاب تحولت الى منطقة وسط افريقيا، حيث اصبح الارهاب في تصاعد، مع نشاط حركة الشباب وتنظيم داعش، لتشكل تهديدا جادا للامن العالمي.

السؤال المطروح حاليا والاكثر الحاحا يتعلق بمصير ومستقبل أفغانستان بعد الانسحاب الأميركي منها وبعد سيطرة طالبان عليها:

• هل تتجه البلاد الحافلة بالتناقضات العرقية والقبلية الى حرب اهلية، خصوصا وان حركة طالبان ليست منسجمة في تركيبها الداخلية وليست جسما واحدا؟ ثمة من يعتبر ان طالبان ستعجز عن حكم البلاد كلها نظرا الى التنوع الاثني والعرق والمذهبي فيها الذي حال دون وحدتها الفعلية (البشتون يشكلون نحو 62 في المئة، الطاجيك والهزاره والتركماني والاوزبك ومجموعات اخرى متعددة تشكل



انسحاب ام هروب؟

نحو 2,5 في المئة من عدد السكان من بينها اقلية عربية. يشكل المسلمون السنة من السكان بين 84,7 و89,7 في المئة، والمسلمون الشيعة الهزارا بين 10 - 15 في المئة. اما

بالنسبة الى الاقليات الصغيرة التي من بينها الشيخ والهندوس وغيرهم، فانهم يشكلون نسبة 3 في المئة).

• هل تعود أفغانستان الى حقبة التسعينات

لائحة الاتهام والاستجابات

استغل الجمهوريون فرصة بدء الكونغرس النظر في مشروع موازنة البنتاغون الضخم لطرح تعديلات عليه مرتبطة بأفغانستان، والضغط على الديمقراطيين للتصويت عليها. لكن ابرز ملف حظي بحصة الاسد في التعديلات، كان موضوع الاسلحة والمعدات الأميركية التي وقعت في ايدي طالبان. فمع تقديرات بعض المشرعين الجمهوريين بأن تكون قيمة هذه المعدات اكثر من 80 مليار دولار.

كتب 25 عضوا في المجلس رسالة الى وزير الدفاع الأميركي لويد اوستن يطالبونه فيها بتفصيل طبيعة الاسلحة وقيمتها ومصيرها. وطلب كاتبو الرسالة من البنتاغون تقديم المعلومات التالية الى الكونغرس:

- 1- جردة كاملة بالمعدات العسكرية التي قدمت للقوات الافغانية في العام الماضي.
- 2- لائحة بكل المعدات العسكرية المملوكة من الولايات المتحدة او القوات الافغانية والتي تمت ازالتها او تدميرها او ابطالها قبل الانسحاب الأميركي.
- 3- لائحة بكل المعدات العسكرية التي لا تزال صالحة في أفغانستان.
- 4- لائحة بالمعدات العسكرية التي استولت عليها طالبان.
- 5- تقييم للفترة التي يحتاج اليها عناصر الحركة كي يتمكنوا من استعمال هذه المعدات.
- 6- تقييم لاحتمال لجوء طالبان للعمل مع دول كروسيا وبكستان وايران والصين للتدريب على استعمال هذه المعدات او صيانتها في حال عدم قدرتها على تشغيلها.
- 7- الجهود المبذولة من الادارة لاستعادة المعدات او تدميرها قبل وقوعها في ايدي تنظيمات ارهابية.

في ظل سيطرة هذه الحركة الاسلامية المتشددة، فتكون كل التغييرات التي حدثت داخل المجتمع الافغاني وكل المكتسبات التي حصلت عليها المرأة الافغانية، تغييرات ومكاسب موقته ذهبت ادراج الرياح مع الأميركيين؟

• هل تلقى أفغانستان طالبان اعترافا دوليا ام تكون منبوذة معاقبة ويكون الاعتراف بها والتعامل معها ومد يد المساعدة اليها، في مقابل شروط وقيود؟ هل تعود القاعدة الى أفغانستان لتتخذ منها مقرا وملادا؟ وهل تكون عودة طالبان ايذانا بعودة موجة جديدة من التطرف والارهاب وعودة الروح الى داعش، والى التطرف الاسلامي في كل العالم؟

لكن هناك سؤالا آخر يتناول التقديرات والحسابات الأميركية في أفغانستان: هل وقعت ادارة بايدن في فشل استخباراتي وفي خطأ او سوء تقدير للاوضاع الداخلية في أفغانستان، بحيث انها لم تكن تتوقع مثل هذا الانهيار السريع للقوات الافغانية، ومثل هذا التقدم السريع لحركة طالبان، وانها ذهبت في الرهان الخاطئ على الحوار المتأخر مع طالبان وعلى امكان ابرام تفاهات معها ووضع ضوابط وكوابح لحركتها واندفاعتها؟ ام ان واشنطن كانت تدرك فعلا اي مسار ومصير ستشهده أفغانستان بعد الانسحاب الأميركي، وانها ستؤول الى حركة طالبان في وقت قصير، ولم تكن مهتمة لهذا الامر اي لامر سقوط أفغانستان في يد طالبان، اولا لانها راغبة في الانسحاب ومقتنعة بأن اوانه قد حان ولا مصلحة لها في البقاء والاستمرار في حالة نزف مالي وبشري هناك. وثانيا لانها تريد ان تشغل روسيا وايران وتخلق لهما المتاعب مع جارتهما أفغانستان: ايران التي تمتعت بالاستقرار الامني في أفغانستان نتيجة الوجود الأميركي، والتي تقف طالبان الان على حدودها ويمكن ان تتفاهم او ان تشتبك معها، وروسيا القلقة من سيطرة طالبان على الحدود الافغانية مع كل من اوزبكستان وطاجيكستان اللتين ترتبط معهما بروابط تحالفية عسكرية.

وبرلين، شعور بالاحباط بسبب الاداء الاميري الذي وضعهم امام الامر الواقع من جهة، وبسبب الفشل الذريع الذي اصاب اجهزتهم الاستخباراتية والبنتاغون وسوء تقديرهم الاوضاع في افغانستان، ومدى قدرة النظام السابق على الصمود في وجه تقدم طالبان. - التخوف من ان تستنسخ واشنطن النهج نفسه والانسحاب من مناطق اخرى، مثل سوريا والعراق والخليج وافريقيا، ووضعهم مرة اخرى امام امر واقع جديد.

- ما يفاقم الحسرة الاوروبية ان العواصم المعنية استبشرت خيرا بوصول بايدن الى البيت الابيض والادبيات التي سوقها في شأن عودة اميركا الى الساحة، وعزمها على التشاور والعمل الوثيقين مع الحلفاء، ان في الحلف الاطلسي او في الاتحاد الاوروي. لكن الحال ان ما حصل فعليا، بعيد كل البعد عن وعود بايدن، اذ تكفي قراءة وسائل الاعلام الاميركية بكل تلاونها للتأكد من الاهانة المؤكدة التي لحقت باميركا الهاربة من افغانستان.

تضاف الى ما سبق، وفق القراءة الاوروبية، نتيجتان متصلتان: من جهة، دفع الاوروبيون الى اعادة النظر في علاقاتهم الاستراتيجية مع الشريك الاميري، بما في ذلك داخل الحلف الاطلسي. من جهة ثانية، التعجيل في بناء قوة عسكرية خاصة بهم في اطار السعي الى الاستقلالية الاستراتيجية التي من شأنها تمكين الاوروبيين من الدفاع عن مصالحهم في كل الظروف ومن غير المشاركة الاميركية. جاءت تصريحات وزير الشؤون الخارجية في الاتحاد جوزيب بوريل (اسباني) باللغة الواضحة، اذ قال انه يتعين على الاوروبيين خفض الاعتماد على واشنطن.

على مدار العشرين عاما الماضية، شاهد الاوروبيون الولايات المتحدة تقود اوروبا نحو حروب لم ترغب في خوضها، ثم شاهدوها تستسلم لميول سياسية عاطفية مناهضة للنخبة. عليه، فان شعور اوروبا بالاحباط امر متوقع، ومن المؤكد ان انهيار افغانستان سيزيد حدة هذا الاحباط.



الانسحاب الاميري من افغانستان قرار استراتيجي اتخذ عن سابق تصور وتصميم.

قبله: هكذا يمكن تلخيص المواقف الاوروبية - ضرورة الحذر من الادارة الاميركية في عهد بايدن كما كانت حذرة منها، لا بل اكثر، في عهد سابقه في البيت الابيض ترامب. يسود باريس، فان التطورات تدفع بالاوروبيين الى استخلاص نتائج رئيسية: مباشر بالملف الافغاني، من باريس الى لندن

طالبان اليوم مختلفة عن التسعينات!

"علينا ان نمسك اعصابنا وان نمُنحهم فرصة لتشكيل حكومة وان نعطيهم متسعا لظهار امكاناتهم. ربما كانت طالبان هذه مختلفة عن طالبان التسعينات التي يتذكرها الناس".

هذا التعليق على عودة طالبان الى الحكم في افغانستان، صدر عن قائد اركان الدفاع البريطاني نيك كارتر، وهو يأتي في خضم سيل من التطمينات التي يطلقها قادة هذه الحركة بانهم لن يسمحو بأن تستخدم افغانستان، من جديد منطلقا لنشاط يمس امن دول العالم. كما توجد مؤشرات واضحة على انها ستكون مختلفة هذه المرة، فهناك بالفعل الكثير من الضغوط التي تمارس عليها من قبل المجتمع الدولي في شأن القضايا المتعلقة بالاقلية.

يرتبط هذا التغيير في موقف طالبان بعدما تحسنت علاقاتها مع الدول الاقليمية، بما في ذلك ايران والصين وروسيا.

لكن كثيرا لا يعتقدون ان طالبان هي التي تظهر على الشاشة اليوم. فمعظم كوادرها من المقاتلين هم شباب تم تخريجهم من مدارس دينية متشددة، والارجح ان القادة، كبار السن، سيختفون من المشهد تدريجا مع صعود المتطرفين.



الرئيس الاميري جو بايدن: قرار جيد مع تنفيذ سيئ.

اضاف الشعور بالكارثة من جراء ما جرى في افغانستان، الى المناقشات المستمرة منذ فترة طويلة، حول حاجة اوروبا الى سياسات استراتيجية اكثر استقلالية عن واشنطن. لقد كانت الحرب في افغانستان اول مهمة في تاريخ ناتو تطبيقا للمادة الخامسة من بند الدفاع الجماعي للحلف. لكن تجاهل بايدن لتبعات الانسحاب على الحلف، قد يترك اثارا مدمرة على مكانة اوروبا. ما بعد الانسحاب من افغانستان لا يشبه ما

ثمة سؤال آخر يتعلق بالسلوك والمبادئ والقيم الاميركية، عندما تقرر واشنطن انسحابا من طرف واحد وان تترك افغانستان لمصيرها من دون ضمان حلفائها والمتعاونين معها من الافغان. هذا الانسحاب الذي شبهه البعض بانسحاب الهزيمة من سايبون الفيتنامية عام 1975، او بالانسحاب الاميري العسكري من العراق ايام الرئيس باراك اوباما الذي قدم العراق على طبق من فضة الى ايران، فيما يقدم بايدن افغانستان الان الى حركة طالبان.

الصور الاخيرة على ارض مطار كابول تعزز الانطباع بأنه انسحاب فاشل في الاخراج الذي اعتمده، وفي كيفية حصوله بطريقة مخزية وكأنه هروب وفرار من افغانستان. وينطوي على رسالة معبرة وذات دلالات وفحواها ان اميركا لديها حلفاء وتقف معهم عندما يكون لها مصلحة في ذلك، ولا مشكلة لديها ولا عقدة ذنب في ان تترك حلفاءها وتدير لهم ظهرها اذا كانت مصلحتها تقضي بذلك.

لعل الطامة الكبرى التي خيمت على العلاقات الاميركية - الاوروبية، تكشف في المداومات بعد استيلاء طالبان المفاجئ على افغانستان والتعامل الفوضوي مع الانسحاب الاميري، الامر الذي زعزع ثقة الاوروبيين بقرارات بايدن واولوياته. فقد ضغط القادة الاوروبيون ورئيس الوزراء البريطاني بوريس جونسون على بايدن لتأجيل الموعد النهائي للانسحاب. لكن الرئيس الاميري لم يتزحزح، مصرًا على انجازه لانتهاء اطول حرب اميركية: لم يعد لها اي مبرر.

بالنسبة الى الاوروبيين، لاسيما في البلدان التي استثمرت في دعم مهمة ناتو في افغانستان، كانت احداث الاسابيع الماضية اختبارا داخليا لمناعة الحلف ولحقيقة الاهداف الاميركية مستقبلا. في حين اعرب المسؤولون الاوروبيون عن مخاوفهم في شأن المحنة الانسانية في افغانستان، فضلا عن احتمال حدوث تدفقات جديدة ضخمة من اللاجئين الافغان، فانهم شكوا ايضا من غياب التشاور الحقيقي مع ادارة بايدن. اكثر من هذا،

لماذا تركيا مهتمة بتشغيل مطار كابول؟

اقترحت حركة طالبان على تركيا وقطر تشغيل المطار فنيا من دون اي وجود عسكري لهما. في حين بادرت الدوحة على الفور الى ارسال فرق استطلاع الى كابول لهذه الغاية، بدا موقف انقرة اكثر حذرا، لاسيما في ظل ظهور معارضة داخلية لهذا الامر. رغم ذلك، فان تركيا لا تخفي ارتياحها، على رغم المخاطر الامنية، لكونها ستقوم بهذه المهمة ولو بالشراكة مع قطر.

الاهتمام التركي مرده الى الاسباب التالية:

1- الرئيس رجب طيب اردوغان يرى في تولي هذه المهمة، ولو من دون انياب عسكرية، اكثر من ضرورة لحفظ ماء الوجه حتى لا يظهر وكأنه فشل في خطته، وهو ما من شأنه الحاق ضرر بصورته امام الرأي العام التركي.

2- قبول تركيا تشغيل المطار من دون حماية عسكرية تركية يعكس حاجة اردوغان القوية الى الرضى الاميري الذي يعمل على نيله بكل السبل لتخفيف الضغوط الاميركية عن انقرة.

3- وجود تركيا في مطار كابول، ولو بالشراكة مع قطر، يفتح الباب امام ايجاد رابط تواصل مع حركة طالبان، يمكن ان يتوسع ليشمل لاحقا موضوعات اخرى، مثل موضوع اللاجئين الجدد، كما يعطيها موطئ قدم في افغانستان تنطلق منه في لعبة رسم التوازنات الاقليمية والدولية الجديدة في هذا البلد، وابتزاز استثمارات واسعة للشركات التركية.